مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 10- العدد 4 (ديسمبر) 1442هـ/2020م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أسواق أولاد نايل الموسمية
من خلال الرحلات الحجيّة بين القرنين 16 و18م

The Seasonal Markets of Ouled Nail Tribe Through the Pilgrims Convoy Books Between 16th and 18th Centuries AD

اسم ولقب المؤلف المرسل: حسين جيلالي بن فرج- Djilali Ben Fredj Housseyn صص224-247
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه- وعضو في مختبر مصادر وتراجم- جامعة وهران1 (الجزائر)
البريد الإلكتروني: benfredj.hocine@edu.univ-oran1.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: أ.د دحو فغرور- Faghrour Daho
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- جامعة وهران1 (الجزائر)
البريد الإلكتروني: dahofaghrour@hotmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2020/06/30 تاريخ المراجعة: 2020/08/30 تاريخ القبول: 2020/10/10

الملخص بالعربية: قبيلة أولاد نايل واحدة من أكبر قبائل القطر الجزائري، وقد كان لها دورٌ هام خلال فترة الحكم العثماني للجزائر، سواء من خلال مساهماتها الاقتصادية، أو حتى تمرداتها، إنَّ موقعها في شمال الصحراء الجزائرية على خط مرور ركب الحج قد بوَّأها مكانة هامة من خلال عقدها لعدة أسواق موسمية مع الحجاج المغاربة، الأمر الذي ساهم في تذليل صعوبات رحلة الحج، وتحسين أوضاع القبيلة إقتصادياً.

سنحاول في هذا المقال دراسة المجال الجغرافي للقبيلة، وأهم محطات الحجاج بها، وكذلك سندرس منشآتها العمرانية والمقومات الطبيعية بها، بالإضافة إلى الإمكانيات الزراعية وأهم الصعوبات التي تواجه الحجاج، ثم أهم الأسواق وخصائصها، وأهم السلع والعملات المستعملة، وأخيرا علاقة السلطة العثمانية بهذه الأسواق ومدى تدخلها فيها. وقد اعتمدنا في إعداد هذا البحث على ما توفر لنا من الرحلات الحجية المطبوع منها والمخطوط، وذلك خلال القرنين 16 و18 ميلادي. وقد بلغ عدد الرحلات التي اعتمدنا عليها 12 رحلة.

الكلمات المفتاحية: أولاد نايل؛ الأسواق الموسمية؛ ركب الحج؛ الاقتصاد الريفي؛ الرحلات الحجازية؛ البادية؛ القافلة؛ الزطاطة؛ المقايضة؛ العملة.

Abstract: *Ouled Nail tribe is one of the largest tribes in the north of the desert of algeria on the roads of pilgrims convoy, it had an important role during the period of Ottoman rule in , whether through its economic contributions and*

EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 ردمد
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

even by its disobedience and revolution against ottoman power. it has occupied an important position through its contract for several Seasonal markets with Moroccan pilgrims, which contributed to overcoming the difficulties of Hajj for Moroccans, and improving the economic situation of the tribe. In this article, we will try to study the geographical area of the tribe, and the main pilgrim stations in it, as well as we will study architecture and natural ingredients in it, in addition to agricultural capabilities and the most important difficulties facing pilgrims, then the big markets and their characteristicsincluding the commodities and currency used, and finally the relationship of the Ottoman authority to these markets and the extent of their interference in them . During the preparation of this research, we will rely on the pilgrims convoy books that we have printed one or still in writing, during the 16th and 18th centuries AD. The number books on which we relied are 12 references.

Keywords: ouled nail ; seasonal markets ; Hajj rides ; rural economy ; Hijaz Travels; pilgrimages; desert ; caravan; Zetata; barter; currency.

المقدمة: نشأت على طول الطرق والمسالك التي يسلكها الحجاج المغاربة منذ فترة العصور الوسطى وعلى امتداد فترة التاريخ الحديث، أسواقٌ موسمية يتعرَّض خلالها سكان المدن والقرى وأعراب الأرياف والبوادي لقافلة الحجيج من أجل عرض خدماتهم وعروضهم مقابل ما يجلبه الحجاج المغاربة من سلع متنوعة تزخر بها بلادهم أو التي يحملونا من المشرق، رغم ما يراه كثير من الرحالة الحجاج من مخاطر في اصطحاب العروض التجارية، خشية كسادها أو تنغيصها رحلة الحج، من خلال السهر في حراستها ومشقة حملها، مثل ما يصرح بذلك الناصري(ت1239هـ- 1823م) في الرحلة النّاصرية الكبرى[1]، والحضيكي (ت1189هـ-1775م) في الرحلة الحجازية[2]، ولا يستثنون من ذلك سوى ما يعرف لدى الحجاج المغاربة بـ"العطرية"، يقول الناصري: "فربَّ بلدة لا يقع شراء الأمور التافهة من فاكهة وتِبن وخُضَر إلا به[3]" مما يدل على أن هذا النوع من التجارة يكاد يكون حاجة ماسة للحجاج، من أجل ضمان موارد كافية لتغطية نفقات رحلة الحج ذهابا وإيابا.

ولكون الجزائر تعتبر المجال الحتمي والطبيعي الذي كانت تخترقه قوافل الحجيج البرية سواء القادمة من فاس أو سِجلماسة، أو تلك القادمة من مراكش والسودان الغربي (بلاد التكرور) أو بلاد ولاتة وشنقيط، حيث كان الركب الفاسي والسجلماسي يمرّان على شمال الصحراء الجزائرية، أما الركب المراكشي والتكروري والشنقيطي فيمرون على قورارة وبلاد توات، مما نشأ عنه قيام تجارة موسمية نشيطة وقوية وظهور أسواق كثيرة ومتعددة، لهذا آثرنا أن نسلّط الضوء على عينة نموذجية من هذه الأسواق الموسمية واخترنا أن تكون

المنطقة التي يمر بها ركب الحجيج على فضاء أولاد نايل (ولاية الجلفة) والتي تمثل منطقة العبور الوسطى في شمال الصحراء، والمحصورة بين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي للجزائر.

وذلك انطلاقا من التساؤل حول أهمية هذه الأسواق الموسمية وعن طبيعتها، وأماكن وظروف إقامتها، والعوامل المتحكمة فيها، ومدى إسهامها في تذليل مشاق رحلة الحج، وترقية الحياة الاقتصادية بالنسبة لقبيلة أولاد نايل؟

وللإجابة على هذه الإشكالية آثرنا أن نتناول أولا التعريف بالمجال النايلي وما يزخر به من مقوّمات اقتصادية تساعده على انشاء تجارة موسمية مع الأركاب الحجية، ثم التطرق لأهم هذه الأسواق وأوقات عِمارتها، وأهم السِّلع المتبادلة، ثم أهم خصائصها والعوامل المتحكمة في ازدهارها أو تراجعها، معتمدين في ذلك على ما توفر لنا من كتب الرَّحلات الحجية بين القرنين 16 و18م سواء المطبوع منها أو المخطوط.

1- المجال النايلي في الرحلات الحجية: عادة ما يستغرق ركب الحجّ المغربي سواء القادم من فاس أو سجلماسة مدَّة ستة أيام من أجل عبوره مجال قبيلة أولاد نايل، وذلك منذ خروجه من مدينة الأغواط إلى أن يصل إلى مدينة سيدي خالد التي تعتبر أول قرى الزاب[4]، وهي مسافة تصل إلى 300 كلم أو تزيد[5]، نعثر على تلخيص لأهم منازل الحجيج بفضاء أولاد نايل في قصيدة محمد بن منصور العامري (ت1170هـ-1757م) التي نظمها سنة 1152هـ- 1739م ويقول عنها الباحث المغربي محمد المنوني: "أنها تُبَيّن بتدقيق الطريق التي كان يسلكها ركب الحاج المغربي وبالأحرى الركب الفاسي[6]" فقال: ثم منه لـ"**عين ماضي**" ومنها، بِت بقرب "**الأغواط**" حيث المساءُ، ثم في "**وادي حوت**" ثمَّ منه، لـ"**دَمَاد**" مُدَّ عَداك اعتداءُ، ثم "**عبد المجيد**" ذي الوعر والأحجار بادٍ فيه قوم ظماءُ، ثم في "**التُّوميات**" ثم ولـ "**وادي سيدي خالد**" مساءً يُجاءُ[7].

إلا أن أصحاب الرحلات النثرية يذكرون مزيدا من التفاصيل والمواضع التي تتخلل هذه المحطات الهامة المذكورة في قصيدة العامري:

1.1 مسار ابن أبي محلي سنة 1000هـ- 1592م: وتعتبر أقدم رحلة حجية تصف طريق الركب السجلماسي، بعد رحلة ابن عابد الفاسي التي كانت سنة 990هـ- 1583م، غير أن هذا الأخير سافر بمفرده من غير ركب، ولم يحفل بتسجيل أسماء المراحل، يقول ابن أبي محلي (ت 1021هـ -1612م) إنَّ: "حجته الأولى كانت مع طريق الصعاليك لفقد الركب يومئذ" وذلك

سنة 1000هـ- 1592م فيذكر أنه مر على كل من "عين ماضي وتاجموت والأغواط ودَمَدْ (يضبطها بفتح الدال والميم وسكون الدال) وعَمُّورة (يضبطها بفتح العين وتشدد الميم وضمها) حتى وردنا وادي نبي الله خالد[8]".

2.1 مسار العياشي سنة 1074هـ- 1664م: عرَّفنا أبو سالم العياشي (ت1090هـ- 1679م) في طريق عودته من الحج على بضع مواضع في محيط أولاد نايل، حيث يذكر أنه بعد تجاوز الركب زاوية الأخضري نزل بلدة لؤي (ليوة حاليا) ثم الدويسة، ثم خرزة البطم ثم الجرف ثم عبد المجيد ثم العوينة، ويقول أن الركب عدل عن دمد يسارا ومرَّ بأولاد سيدي مخلوف ثم الفلجة، ثم يذكر أنهم نزلوا قرب العُوينة التي دون الأغواط[9].

3.1 مسار اليُوسي سنة 1101-1102هـ/1690-1691م: يذكر مَحَمَّد العياشي بن الحسن اليوسي (ت1102هـ- 1719م) أن ركبهم بعد أن ظعن من الأغواط مرَّ على كل من العسفية، وادي القصب، المكيد، قرية دمد، عين العمش (عين الحواجب)، وادي عبد المجيد، وادي سيدي خالد، وادي البسباس قبالة التوأميات، فقرية سيدي خالد[10].

4.1 مسار بن ناصر الدرعي سنة 1121-1122هـ/1709-1710م: يذكر أحمد بن ناصر الدرعي (ت1129هـ 1717م) أن ركبهم في طريق الذهاب مرّ على كل من: العسافة، دمت، تنيل، البرج، أولاد بن حرز الله، الغيران، عبد المجيد، عمورة، وادي التوميات، الغيفك، سيدي خالد.

أما في طريق العودة بعد محطة سيدي خالد: نجع السليمة، مقسم أولاد سيدي عيسى، أعراب رحمان، وادي الشنوف، غوط بين مسلكي عيكف، غور متسع بالصدود، التوميات، وادي عبد المجيد، عمورة، الغيران، غمرة (وتنطق قمرة)، ماء عبد المجيد، عين تنبع في جرف عليها مزاره أولاد جابر حرز الله (زاوية) البرج، دمت، وادي دمت، وادي الفج، وادي النبيلة، تجنبوا طريق الأغواط إلى المستعة، دخلة الأغواط[11]

5.1 مسار ابن الطيب الشرقي سنة 1139-1140هـ/1727-1728م: يعدد ابن الطيب الشرقي (ت1170هـ- 1756م) عند مروره بفضاء أولاد نايل في رحلة الذهاب المواضع التالية: وادي الحوت، دمت، البرج (عين البرج) عبد المجيد، التوميات. أما عند عودته فيسترسل في ذكر مزيد من المواضع الأخرى، فيذكر بعد سيدي خالد: وادي صياد، التوميات، جرف الأحمر، عبد المجيد، روضة الشيخ الشارف بن حرز الله، وادي عمورة، وادي المأصل، عين البرج، وادي دمت (وادي الطرفاء) ويسميه الأعراب وادي الحميضا، الجنان، وادي الفج، المتسعة، الدخلة فالأغواط[12].

6.1 مسار الإسحاقي سنة 1143هـ-1730م: يذكر الإسحاقي (ت1150هـ-1737م) بعد الأغواط: الحميضة، دمد، عبد المجيد، التوميات، سيدي خالد[13].

7.1 مسار الناصري والمصعبي سنة 1196-1197هـ/1782-1783م: أما محمد بن عبد السلام الناصري (ت1239هـ - 1823م) فيقول أن الركب تنكب العسافية ليمر على واد أبي الجوَّاد وقال أن له تسميتان: الفج وواد الحوت، ثم ذكر واد النتلا، ثم واد الحميضة، قرية دمت، وبعدها عيون سلمانة، الحواجب وبها عدة عيون سنجاف، البرج، عيون السطان، أودية القيروان (صوابها: الغيران)، قرية لم يسمها برأس الجبل (لعلها عمورة)، عبد المجيد، مفازة سيدي خالد، التوميات، المضاف، واد أمزّ (أجدّ)، واد سيدي خالد[14].

والظاهر أن هذا الطريق هو نفسه الذي سلكه المصعبي (ت1132هـ-1817م) لأنه نزل بالأغواط وانتظر مجيء الركب السجلماسي في نفس السنة التي حج فيها الناصري الذي ذكر أن بعضا من بني ميزاب تعرضوا للركب في الأغواط بقصد التسويق[15].

8.1 مسار الناصري في حجته سنة 1211هـ- 1797م: بعد خروجه من الأغواط يذكر أنه مر على: الزليجة، واد الحوت، المكيد، دمت (أولاد نايل)، ماء البرج، الأقرمز (أعراب نايل)، آبار الغيران، عمور، عبد المجيد، التوميات، الهوبا، سيدي خالد[16].

يقول إ. كاريت أن الطريق بين الأغواط وبسكرة يتبع ضفاف وادي الجدي أو يبتعد عنه قليلا، ويمر إما عبر دمد وإما عبر مسعد، وأحيانا عبر زكار أو عمورة، وهي قرى قريبة من بعضها البعض تقع شمال وادي الجدي، ويضيف أن الطريق من دمد إلى سيدي خالد يتخلله جبل بوكحيل[17].

3- المرافق العمرانية في فضاء أولاد نايل: سنحاول من خلال هذا العنصر الوقوف على أهم المرافق والمنشآت العمرانية التي سجل أصحاب الرحلات انطباعات حولها، وكانت إما منازل لهم أو مجرد محطات يعرجون عليها، كالقرى والمساجد والمزارت والزوايا خاصة.

1.3 قرية دمد: هكذا ذكرها كل من الإسحاقي والمصعبي والعياشي في الصغرى واليوسي والسجلماسي[18]، أما العامري والعيني (ت1199هـ- 1785هـ) فيكتبانها "**دماد**[19]"، ويسميها العياشي في رحلته الكبرى مرة "**دماك** ومرة **دمك**[20]" ولعل هذه الكلمة مما أشكل قراءته على المحققين، لأني بعد اطلاعي على النسخ الخطية والطبعة الحجرية وجدتها كتبت مرة "**دماد**" وأخرى "**دمد**"[21]، أما الدرعي والناصري فيكتبانها "**دمت**" ويثبت ابن الطيب الشرقي التسميتين فيقول: "**دمت** وبعضهم يسميه **دمد** بالدال بدل المثناة الفوقية[22]".

ويتفق أصحاب الرحلات أن دمد قرية واقعة على ضفة وادي الحميضة، ويقول الناصري أنها دويرات بأصل جبل عن يمينك وأنت مُشَرِّق، ويصفها العيني بالقرية الصغيرة[23]، ويقول الإسحاقي أن هذه القرية من البلدان المذكورة في بلاد الجريد، لكن لم يبقَ منها حسبه "إلا رسوم بوالي"، ويقول إنها تقع بـ"سفح جبل أقرع لا ماء ولا شجر"، ويستدرك قائلا أنه رأى بها بعض الأشجار، "ولكن ليس في القرية ما يباع ولا ما يمتار"[24]، ويذكر الدرعي أن أهلها استقبلوا ركب الحجيج فرحين وخرجوا مع إمامهم سيدي محمد بن مسعود[25]، مما يدل على وجود مسجد بها.

2.3 قرية عمورة: يذكرها كل من الدرعي والناصري، إذ يقول عنها الأول أنها قرية على رأس الجبل مجاورة لعبد المجيد، ويضيف أنها حوالي الغيران، وأن بها فواكه متعددة، إلا أن الناصري يشير إلى وجودها دون أن يذكرها بالاسم، ويصفها بأنها عامرة وأنها تقع "عن يسارك وأنت مُشَرِّق". ويذكر ابن الطيب الشرقي بها وادا باسمها وادي عمورة[26]. إلا أن الناصري في رحلته الصغرى سنة1211هـ- 1797 يقول أنه وجد قرية عمورة خالية من أهلها في ذلك الوقت[27].

3.3 قرية غمرة (قمرة): ينفرد بذكرها الدرعي في رحلة الإياب، فيقول أنها قرية على أميال شرقي قرية عمورة، ويقول عن سكانها أنه لم يسمع عنهم أنهم يتعرضون للركب بسوء، وأن ركبهم بات بها ولم ير كيدا[28]

4.3 المرافق الدينية: يذكر ابن طيب الشرقي أن الركب في طريق عودته مال لزيارة روضة الشيخ الشارف بن حرز الله، ويقول السجلماسي أنه وجد قرب ماء عبد المجيد مقبرة فيها قبر عليه بناء، يقال إن صاحبه يسمى عبد المجيد وباسمه سمي الماء والمسافة بعده، ويضيف أن الركب وجد أعرابا أرادوا دفن ميت لهم بلا صلاة، فتيمموا وصلوا عليه، وفرح أهل الميت بذلك وذكروا أنه حافظ للقرآن. إلا أن الناصري يذكر أن الرجل الصالح اسمه سيدي شارف المجيد، يسمى هذا المكان باسمه فقال الناس عبد المجيد[29].

ويذكر الدرعي أن لأولاد جابر حرز الله زاوية من زوايا تلك البادية، ويقول أنهم ناس مقبلون على ما يعنيهم، وقد عرف منهم جماعة متمسكين، ويضيف أن أحد الحجاج أودع عندهم بعيرا له كَلَّ، عند رجل اسمه سيدي محمد بن عيسى بن يحيى بن حرز الله، وقال أنه يقرأ القرآن، وله أخ حج مع الركب الفاسي ذلك العام ورجع مع الركب السجلماسي،

اسمه سيدي الطيب بن عيسى، وصفه بأنه رجل دين خير مقبل على شأنه، ويقول أن بإزاء الزاوية بناء على هيئة المسجد يسميه الحجاج البرج[30].

4- المقومات الطبيعية بمنطقة أولاد نايل: من خصائص الطرق الحجية أنها عادة ما تكون تتوفر على عدة امكانيات طبيعية تساهم في تقليل مشقات الحج وتكاليفه، وخاصة ما توفر منها على المياه والأودية ومواضع الحطب والكلأ، لذا كان لزاما علينا التعرف على ما يزخر به فضاء قبيلة أولاد نايل من مؤهلات طبيعية جعلت الحجاج المغاربة يؤثرونه على غيره.

1-4 المياه: يعتبر موضوع المياه من المواضيع التي يعتنى بتدوينها أصحاب الرحلات، وهذا يندرج ضمن ما يمكن أن نسميه "دليل الحاج في طريقه للحجاز"، لهذا كانت الأركاب البرية عامة المغربية منها وغيرها تتخير المبيت دائما قرب العيون والآبار والأودية حيث تتوفر المياه لقضاء مختلف المآرب، من شرب ووضوء واغتسال وسقي دواب، بل كان الماء أحد أهم التحديات التي تواجه أركاب الحج، مما يجعلهم يتخوفون جدا من عدمه وفقدانه، ويعملون على حمل مياه اليومين والثلاثة خاصة في الصحاري والمفاوز، إلا أن المنطقة التي كانت تقطعها الأركاب في فضاء أولاد نايل يمكن اعتبارها غنية جدا بمياه العيون والغدران والأودية حتى أن اليوسي في رحلة إيابه من الحج يقول: "وأكرم الله الركب بكثرة الغدران ولم نستق ماءً من بسكرة إلى جبل عنتر[31]"، ويمكن أن نصنف الموارد المائية إلى قسمين:

1.1.4 العيون: ماء العسافية يقول عنه اليوسي أنه "ماء حلو طيب" أما الناصري فيقول "ليس بذاك"، كما يذكر الدرعي أنهم نزلوا بها وسقوا دوابهم[32].

عيون سلمانة: يذكرها الناصري في ذهابه بعد قرية دمد، وقال أنها "عذبة باردة إلى النهاية[33]".

عين الحواجب: ذكرها اليوسي وسماها كذلك بعين العمش، وقال: إن ركبهم بات بها، أما الناصري فيذكر بهذا الموضع عدة عيون مثل: **سنجاف والبرج وعيون السلطان**، وقال إن **ماء البرج** أحسنها، وهذه العين الأخيرة من العيون التي ذكرها الدرعي وابن الطيب الشرقي، وقال هذا الأخير أنهم سقوا منها بهائمهم مما أحدث هرجا بين الحجاج[34]. ويعطي الناصري في رحلته الصغرى مزيد تفصيل حول هذه العين فيقول أن ماء البرج عين تجتمع في صهريج يسقى به بعض حرث[35].

الغيران: موضع بعد البرج يذكره الدرعي، ويقول: أن "ماءه قليل يتربضه الناس تبرضا إلا أن الإبل روت منه"، ولعل هذا الموضع هو ما يسميه الناصري بالقيروان، وقال: إن به أودية

وبئرا عذبة قليل الماء[36]، ولعل اللبس مرتبط ببعض مخارج الحروف، إذ الشائع في منطقة أولاد نايل هو نطق الغين قاف، فيقال القيران بدل الغيران، ثم صحفها النساخ إلى القيروان.

الجرف: يقول عنه العياشي أنه ماء غزير عذب بين جبلين، بعد موضع خرزة البطم، وقبل عبد المجيد[37].

مقسم أولاد سيدي عيسى نزل به ركب الدرعي، ويقول أنه على غدير واسع مستبحر بالوادي، وسقى الناس من الغدير ما يكفيهم لشرب النهار[38].

2.1.4 الأودية:

وادي أمزي: ويذكره الناصري عند قرية تجموت، ويقول: إن ماءه لا بأس به، ويضيف أن أهل الأغواط يسكنون عليه إلا أن ماءه يقل صيفا، وهذا الوادي يصل إلى الزاب حيث يطلق عليه اسم واد أجدّ، وذلك قرب سيدي خالد، حيث قال أن الركب وقع بهذا الواد على غدران كثيرة من الأمطار، وأضاف أن ماءه راكد[39]، كما يذكره اليوسي ويصف مائه بالمالح القوي[40].

وادي الفج: ومن أسمائه كما يذكر الناصري: "واد أبي الجواد"، وواد الحوت لوجوده به، وماؤه عذب، ويقول المصعبي: فجزنا على فج عشية جمعة، قويا سريعا باردا بفؤاديا[41]

وادي القصب: ذكره اليوسي بعد العسفية، وقال عن مائه: إنه حلو، وبات به الركب[42].

وادي النبيلة: يذكره الدرعي، ولعله نفسه وادي النتلا الذي يذكره الناصري، ويقول أن "أن ماءه جار وليس بذاك[43]".

واد الحميضة: يذكره الناصري بعد واد النتلا، ويقول: إن ماؤه عذب جار عليه غابة الطرفا وبعض حرث وعليه قرية دمت، وهو نفسه واد دمد عند المصعبي الذي يقول عن مائه: "زلال مسلسل"، وواد الطرفا عند ابن الطيب الشرقي، ويقول: إنه واد عظيم وعليه تأسست قرية دمد[44].

وادي عبد المجيد: يقول اليوسي: إن مائه عجيب، وحمل منه الركب ماء يومين، أما الناصري فيقول: إن ماءه جار لا بأس به، كما يذكر أن بالقرب منه "مكان منخفض تجتمع فيه سيول الأمطار لا يفارقه ماء المطر غالبا حتى زمن المصيف، ووجدناه ذهابا وإيابا ممتلئا[45]".

وادي عمورة ووادي المأصل: يذكرهما ابن الطيب الشرقي ويقول عن الأخير: إنه "واد نواحيه بأشجار البطم العظيمة معمورة[46]".

وادي البسباس: يذكره اليوسي قبالة التوأميات وبه بات الركب[47].

وادي التوميات: موضع بات غربيه ركب الدرعي[48].

وادي الشنوف: يقول الدرعي أن الركب أخذ قيلولة على شفير هذا الوادي في ظل سرحات من البطم، ووجدوا هنالك غدرانا من الماء فسقوا بهائمهم وأدواتهم وتوضؤوا[49].

2-4 الإمكانيات الزراعية: تزخر المنطقة بوجود بعض المواضع الصالحة للحرث والزراعة، كما أن بها مواضع كثيرة تنبت بها عدة أشجار، وعلى رأسها أشجار البطم الأطلسي، يذكر الإسحاقي أن ركبهم نزل "بفلاة بأريضة تسمى الحُمَّيْضَة من بلاد أولاد نائل[50]"، وأرض أريضة تعني لينة الموطأ كريمة جيدة للنبات.

كما يذكر العيني في رحلته سنة1198هـ- 1784م عند مروره بقرية دمد أنه وجد أهلها يدرسون ودوابهم تدور لجهة الشمال عكس ما ألفه في بلاده، كما أنهم لا يجعلون للأندر خشبة بل تدور الدواب وحدها، ويصفها الدرعي بكونها ذات أشجار وأنواع من الفواكه، ويضيف أنه كان لأولاد جابر حرز الله مزارع عليها عين تنبع من جرف، وكذلك قرية عمورة التي يذكر أنها تحتوي على فواكه متعددة[51].

أما الناصري فقد لاحظ أن وادي الحميضة (دمد) عليه غابة من الطرفا وبعض حرث ونخلات وبعض الأشجار، ويذكر الهلالي السجلماسي بعد تجاوز الركب لماء عبد المجيد مصادفتهم لأعراب أولاد نايل الذين حرثوا أرضهم بعدما رويت، كما ريَّض ركب ابن الطيب الشرقي بموضع سماه بالجرف الأحمر "تحث ظلال شجره الأسود وفوق تربه الأحمر"، ويقول أن بواد دمد كثير من الأشجار والفواكه والمياه وأن هذا الواد كبير النفع لما اشتمل عليه من مسارح للأنعام والشياه. ويضيف أن وادي دمد سمي بوادي الطرفا لكثرة ما فيه من أشجارها،"فقد عظمت فيه أشجار الطرفا جدا وتجاوزت في العظم الحد"، ويضيف أن نواحي وادي المأصل معمورة بأشجار البطم العظيمة، وحتى بعد مجاوزتهم لواد الحميضة ريض ركبهم بموضع به أشجار عظيمة من البطم تسمى الجنان[52].

ولا يخفى ما لهذه الأشجار من الأهمية بالنسبة للحجاج الذي يجدون فيها مستراحا لهم يتفيؤون ظلاله وكذا موردا خصبا للحطب من أجل إيقاد النيران سواء للتدفئة أو طهو الطعام، دون أن ننسى بالتأكيد أنها كذلك مرعى لإبل الركب ودوابه.

5- الصعوبات التي تواجه الحجاج: كما كان لفضاء أولاد نايل مؤهلات طبيعية، كانت له صعوباته ومشاكله التي كانت عادة ما تنغص على ركب الحج رحلتهم، الأمر الذي كان يؤثر سلبا على المبادلات التجارية غالبا، ومن بين أهم هذه المشاكل التي سجلها أصحاب الرحلات في المجال محلُّ الدراسة:

5-1 مفازة عبد المجيد والظروف الطبيعية والمناخية المتقلبة: يعترض ركب الحج في منطقة عبوره بأولاد نايل عدة صعوبات وعلى رأسها مفازة عبد المجيد الحَجَّارِية أو مفازة سيدي خالد التي يصفها العياشي في رحلته الصغرى: "بأنها أرض معطشة وعرة حرشة مخوفة سبل وعرة وأرض عراء[53]"، ويصفها الناصري "بذات السموم الحارة والباردة[54]" ويقول اليوسي أن المرحلتان من وادي عبد المجيد إلى سيدي خالد "أقبح ما في هذه الطريق[55]" وينقل الدرعي أنه صح عند الحجيج "أنها لا يسلكها ركب إلا ويضيع فيها حَيٌّ آدمي أو غيره"، حتى ضرب بها المثل بين الحجاج: "لابد أن تأخذ هذه المفازة شاتها، ويقولون: "عبد المجيد يْقَطَّعْ البالي والجديد[56]" ويقول ابن الطيب الشرقي: "وهذه المسافة من أول عبد المجيد إلى انتهاء وادي سيدي خالد من المفاوز التي ما زال يتحدث بعظم مشقتها وبعد شقتها الولد عن الوالد، كلها وعرة مخوفة معطشة مجهلة لن يشك حاج فيما حوت من المخافات وأبرزت من الآفات ولن يجهله، وقد مات لنا فيها رجل من الركب نادته منيته قبل أن تبلغ أمنيته[57]". ويقول المصعبي في رحلته: "وعبد المجيد علقم بفؤاديا[58]".

وكان من عادة الحجاج في ذهابهم الاستعداد لدخول هذه المفازة عند ماء عبد المجيد، وذلك بأن يحملوا ماء يومين كما يذكر السجلماسي أو ماء ثلاثة أيام وليلتين كما يذكر الدرعي، لعدم وجود ماء حي في المرحلتين بعده. أما في طريق العودة فكانوا يتجهزون لدخول المفازة بعد الارتحال من سيدي خالد، كما كانوا يستخبرون من له خبرة بالأرض من الأعراب وغيرهم شأن الطريق أبه ماء فيجتاز الناس أم لا؟ ويذكر الناصري من أوجه الاستعداد لدخول المفازة تنعيل الإبل والبغال نظرا لخشونة وصلابة الأرض وكونها حجارية، وبعد أن تجتاز الأركاب هذه المفازة تبيت لإراحة الإبل وتعاهد أخفافها لما عسى أن يحل بها من النقب فتنعل[59].

ورغم كل هذه الاحترازات والاستعدادات كانت تصادف الحجاج خلال هذه المفازة حوادث مزعجة، إذ يذكر الناصري على سبيل المثال أنه بعد ارتحالهم من ماء عبد المجيد لم يتعالى النهار حتى اشتد العطش بالركب، ويضيف أنه تاه لهم في المفازة أحد أصحابهم

وأقاموا عليه يومين ولم يروا له خبرا، إلى أن وجده بعض الأعراب وهو يعالج الموت من شدة ما نزل به من العطش، فقدموا به لقرية سيدي خالد حيث مات ودفن[60].

إلا أنه في كثير من الأحيان كانت الأركاب الحجية تقطع هذه المفازة ويجدون بها الكثير من المياه خاصة في المواسم المطيرة التي ينتج عنها امتلاء الغدران، مثل ما وقع مع ركب الدرعي الذي يقول بأنهم وجدوا بالمفازة "غدران متسعة تكفي الأركاب الواسعة والمحال المتشاسعة" وما ينقله السجلماسي أن الله أكرمهم "بالغدير الغزير".[61].

ويمكن أن نضيف لهذا المبحث ما كان يعترض الحجاج من شدة الحر والوغرة، مثل تلك التي أصابت ركب اليوسي بعد ارتحالهم من التوميات، أو تلك التي أصابت ركب الناصري، إذ يذكر أنهم تعرضوا في المفازة لسموم حارة هلك بها كثير من الإبل، أما الدرعي فيحدثنا أنهم بعد نزولهم شرقي عبد المجيد هاجت ريح شديدة قلعت الأخبية وكفأتها وأمطرت المساء واشتدت الظلمة، وباتوا ولم يزل المطر يسح سحا من آخر الليل إلى قرب انصداع الفجر[62].

5-2 فيضان الأودية وتوحل الطريق: كثيرا ما كان تساقط الأمطار يؤدي إلى فيضان أودية المنطقة مما يصعب على الأركاب اجتيازه، مما يجعلهم يعرضون أنفسهم وإبلهم وأحمالها للمخاطر في اقتحامها، كما يحدثنا الدرعي في رحلة الإياب عند عبورهم لوادي دمد، ويضيف أن الأمطار أدت إلى كثرة الوحل في الطريق من دمد إلى الأغواط وأنه "لا يسلك بها رِجْلٌ ولا جمل" مما أدى بهم إلى الانحراف عن الطريق المعتاد إلى طريق مسترملة غير ماسكة للماء بعد الاستعانة بأحد أفراد أولاد حرز الله الذي أوصلهم إلى وادي النبيلة على مشارف الأغواط[63].

5- 3 الخوف من السرقة: كانت حوادث السرقة والاختطاف وغياب الأمن يمثل تحديا آخر لركب الحجيج، خاصة في المواضع التي ينزل بها الأعراب، ومن ذلك المنطقة الممتدة من عين ماضي إلى بسكرة، حيث أن العياشي يقول أن أعراب هذه المناطق لا يؤتمنون[64]، بل نجد الكثير من المبالغات والتجريح في كثير من القرى والقبائل لا لشيء إلا لوجود ادعاءات أو حوداث نادرة معزولة، فعند تتبع الرحلات التي بين أيدينا ورغم التهويل الذي نجده فيها إلا أنه وبعد استقصاء الحالات التي وقعت بها سرقة أو اختطاف نجدها أقل ما تكون في مجال أولاد نايل، الذين كانوا عونا كبيرا للحجاج وبدون مقابل، ومن ذلك أن أحد أفراد أولاد حرز الله هو من قام بمساعدة ركب الدرعي وأخذ بهم طريقا مسترملة لا توجد بها أوحال من

وادي دمد إلى أن بلغ بالركب وادي النبيلة قرب الأغواط، كما أن أحد أفراد قبلية أولاد نايل هو من رد بغلا سرق للركب بموضع الصدود وأخبرهم أن السارق صحراويٌ، ويذكر الدرعي أن أهل دمد خرجوا لاستقبال الركب مع إمامهم سيدي محمد بن المسعود وحدثوه أنهم لا يزالون على العهد تائبين وللتعرض للركب نابذين ثم يشهد بصدقهم بدليل أن الناس باتوا ولم يروا بأسا من سارق ولا طارق. بل نجده يُودِع بعيرا لدى أولاد بن حرز الله الذين حج معهم كذلك أحد أفرادهم(65)، كما يذكر السجلماسي أنهم وعلى طول مفازة عبد المجيد كانوا يجدون كثيرا من الأعراب أولاد نايل وكانوا يحذرونهم من السرقة رغم ما وجدهم عليه من الضنك بعد ضياع كثير من مواشيهم(66).

إن تعميم الأحكام على قرى وقبائل بأكملها أشبه ما يكون بالعقاب الجماعي على مخالفات بعض الأفراد، فليس من العدل والإنصاف أن يوصف قوم بأكملهم أنهم أهل سوء أو يوصموا بالبخل كما نجد هذه النعوت في كتب الرحلات مما ينغبي التورع عنه خاصة ممن قصده زيارة بيت الله الحرام(67)، وقد يكون الأمر مرتبطا بالأساس بضريبة كثيرا ما كان الأعراب يفرضونها على المسافرين الذين يمرون على أراضيهم وهي المعروفة بـ "الزطاطة"، والتي كان يمتنع الكثير عن دفعها مما يضطر سكان القبيلة إلى التعويض عن هذه الضريبة بنهب ما يمكن نهبه من الركب، مما يجعلهم في مواجهة وصراع مزمن لا يتناساه الطرفان، وفي هذا الصدد يقول الناصري: "على الحاج عدم إعانة الفجرة من الأعراب خصوصا أهل الجريد والحجاز بتسليم ما هو شبيه بالمكس والجزية من مال أو كسوة ولو نعلا، فإن تسليم ذلك إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم، فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف في حيلة تقود إلى الخلاص بنحو إظهار قوة وشجاعة، فلقد شاهدت في ذلك العجب، فكم من مرة يطلبون ذلك ونتمتع فيتحزبون وينصرنا الله" بل يقول "إن هناك من العلماء من قال بالرجوع من الطريق" قال "وهو أفضل من إعانة الظلمة وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل الجزية"(68).

5- 4 نبتة الدرياس: هو نبات سُمِّيٌّ يقتل الإبل، ويقول الدرعي أنه كثيرا ما فعل بها الأفاعيل، فَقَدَ بسببه صديقه الحاج أحمد بن علي السلوي سباطة ناقة من خيار إبله أكلت الدرياس بدمد مع جملين آخرين له قطَّع الدرياس أمعاءها، أخبر أنه رآها تقذف أمعائها مع أرواثها، ويذكر أن هذا النبات يتواجد خاصة بواد شبور وتاجموت ودمد حول القرية بمزارعها

وبدرنة حوالي برقة، وبسبب هذا النبات كانت الأركاب تنحرف عن القرى التي يوجد حواليها، مما يحرم أهلها من التسوق مع الحجاج[69].

5.5 الجراد والأُسُود: يذكر الدرعي أن أرض دمد خلال عام حجته هذه سنة1120هـ-1709م، جرَّدها الجراد[70]، مما أدى إلى تراجع في المحاصيل التي عادة ما يسوقونها للحجاج، ويذكر ابن عابد الفاسي (ت1047هـ- 1638م) في رحلته إلى المشرق سنة990هـ-1583م أنه بعد خروجه من مدينة البيض نزل قرية حدثه أهلها أنها آخر القرى المعمورة ولا قدامك إلا خبوت ومفاوز إلى الأرض الفلانية، وأن بها أُسُودا عادية، والظاهر أن القرية التي نزل بها هي قرية الأغواط، لأنه يقول أن طول هذه المفازة خمسة أيام ويذكر بعد أن اجتازها أنه وصل قرية سيدي خالد[71].

6.5 الأوبئة: كان ركب الحج غالبا ما يقوم بنقل عدوى الوباء إلى الأماكن التي يمر بها، وفي حال وقوعه فهذا يعني في كثير من الأحيان صعوبة التسوق مع الأعراب أو سكان المدن والقصور، ومن ذلك ما يذكره العياشي أنه صاحبهم في ركبهم إلى الأغواط أعراب سُعاة من دمد يتكففون الناس فقالوا لأهل البلدان في الركب وباء ولم يتركوا أحداً يدخل إليهم[72]، وفي اعتقادي أن هذا تخوف مشروع من أهل دمد من انتشار الوباء بمجالهم، خاصة وأن العياشي نفسه يذكر أنه لما تجاوز ركبُهم عبد المجيد مات رجل من أصحابه الفيلاليين طعن بالوباء. كما يذكر اليوسي أن السبب الرئيسي في تعجلهم في رحلة الرجوع من الحج هو لأجل الوباء الذي وجدوه بطرابلس[73].

6- أهم الأسوق في منطقة أولاد نايل: ونعني بها أهم نقاط التبادل التجاري بين أفراد قبيلة أولاد نايل، والأركاب الحجية المغربية، ومن أهمها من الغرب إلى الشرق:

1.6 سوق المكيد: ينفرد بذكر هذا الموضع اليوسي، وهو بين وادي القصب وقرية دمد، يقول أن الركب وصله وقت الضحى، ووجد به قبيلة يقال لهم "أولاد نايل"، ودخل في حوار مع أحد أفراد القبيلة حول عدد حجاته فأخبره أن هذا حجه الأول[74]، ولم يذكر إن كان بين الركب والقبيلة سوق أم لا؟ غير أنه لا يستبعد أن تقوم سوق بين الحجاج في مثل هذه المناسبات غالبا.

2.6 سوق دمد: تعتبر دمد سوقا هامة لركب الحج، بل هي السوق الأهم في منطقة أولاد نايل، إذ لا تخلو رحلة من الرحلات من ذكر هذا السوق أو الإشارة إليه، وذلك لما تتمتع به هذه القرية من إمكانيات تؤهلها لأن توفر للحجاج كل ما يحتاجونه في رحلتهم، فهي تتوفر

على واد مهم ومزارع وبساتين لمختلف الفواكه، وكذا مسارح لرعي الشياه والأنعام، بالإضافة إلى أن الأركاب الحجية غالبا ما تبيت فيها خاصة في رحلة العودة وبعد قطع مفازة عبد المجيد، فهي تمثل محطة لإراحة الإبل وتعاهد أخفافها وتنعيلها.

إلا أنه يمكن اعتبار سوق دمد سوقا احتياطية كما يشير إلى ذلك العياشي في رحلته الصغرى، فهو يقول أن الركب كان يتجهز من سوق الأغواط فيأخذ علف ستة مراحل إلى سيدي خالد، وهذا في حال ما أخبروا أن دمد لا شيء فيها[75]، مما يفهم منه أن هذه السوق كانت تتعطل في حال تدهور محاصيلهم، فالإسحاقي عند مروره بالقرية يقول أنه لم يجد فيها ما يباع ولا ما يمتار[76]، أما السجلماسي فيقول أن أهل دمد عرضوا دجاجا وحماما وشويهات للبيع ولم يعرضوا سمنا ولا شعيرا وهما أهم المواد التي يطلبها الحجيج، ويقول أنه وجد أهل دمد "جياعا ضعافا[77]" أما الدرعي فيقول أنه ورغم أن أرض دمَّد جردتها الجراد إلا أنهم سوقوا الركب بما أمكنهم مما بأيديهم من الشياه والسمن والشعير[78].

ويعتبر الموسم الذي مر به ركب ابن الطيب الشرقي هو الأهم بالنسبة لسوق دمد إذ يحدثنا عن مبيت ركبهم بالقرية ومجيء أهلها للركب بالسمن الكثير واللبن والغنم، وفكان ذلك حسبه بأبخس ثمن[79].

3.6 سوق عمورة: يذكر الناصري أن أهلها سوقوا الركب بالمحتاج، أما الدرعي فيقول بأنهم تسوقوا معهم بحسب الإمكان وأتوا بالدجاج، إلا أن سمعة السوق سيئة عند الحجاج، إذ يذكر الدرعي أن أهل عمورة كانوا يتعرضون ليلا للأركاب ونهارا بمساوقة الدجاج وما بأيديهم من الفواكه وغيرها، غير أنه في حجته هذه يقول أن الناس لم يروا منهم كيدا، وينقل أنه كانت للحجاج مخاوف من أهل عمورة أن يلحقوا بالركب، ومع ذلك لم تكن تلك المخاوف في محلها وبات الناس في يُمن وأمان[80].

4.6 أولاد سيدي مخلوف: يذكر العياشي في رحلة عودته بعد انحراف الركب عن دمد يسارا، ويقول أن ركبهم مر عليهم وقت الضحى، وأن هؤلاء القوم فقراء أشراف غير أنه قد بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فوهبهم فرسه بعد أن أيس منه ثم ذبحوه لاحقا[81].

5.6 أولاد رحمان: يقول الدرعي أنهم أتوا للركب بقطيع من الإبل وسوقوا بها الركب، ويقول أتى الله من عندهم بعنز دفعت لمستحقها ثم أتاهم فارسان بجلد سمن فدفع للفقهاء وآخر أتى بخروف فدفع لهم أيضا، ويقول أنه التقى بفارسين من رحمان بوادي النبيلة قرب

الأغواط وطلبوا من الركب المبيت بقربهم ليتساوقوا مع الركب لما بأيديهم من الإبل وغيرهم وما قدر ذلك[82].

6.6 سليمة: يذكر الدرعي في رحلة الإياب أن ركبهم التقى نجعا للسليمة من أعراب تلك النواحي من أهل الزعارة ظاعنين في طلب الماء والكلأ، ونزلوا مع الركب على مقسم أولاد سيدي عيسى على غدير واسع مستبحر بالوادي، وباتت ماشية الركب مع ماشية السلمية، ويقول أنهم أتوا إليه بأعيانهم ورؤسائهم وجماعتهم كلها وزعموا أنهم تائبون من سرقة الحاج والتعرض له إلا بالخير وأنهم في خدمة الأركاب النبوية[83].

7.6 أولاد نايل: يذكر السجلماسي أنه على طول مسافة مفازة عبد المجيد وجد الركب كثيرا من الأعراب أولاد نايل، إلا أنهم كانوا في جهد وضنك وقد ضاع كثير من مواشيهم، غير أن أرضهم كما يقول "رويت وهم يحرثون"، ويذكر أنه قبل وصول الركب لمنطقة التوميات حيث منتهى المرحلة تسوقوا مع الأعراب وهم سائرون بقليل إبل وهزيل لحم وغنم[84].

وفي سنة1212هـ- 1797م سَوَّق أعراب نايل الركب الفاسي بالتمر والشعير والبغال، إلا أن غياب سكة الجزائر وهي الريال بيد أهل الركب أدّى إلى تعطل البيع والشراء معهم من أجل ذلك مع شدة الحاجة إلا النزر ممن دفع عطرا ونحوه[85].

8.6 أولاد مليك: يقول السجلماسي أنه بعد ارتحال الركب من التوميات التقوا آخر النهار بأولاد مليك، "وهم قوم يدعون الشرف" كما يقول وعرضوا إبلا للبيع[86].

9.6 خرزة البطم: يذكر العياشي أن ركبهم تسوق في هذا الموضع مع غرباء وصفهم بالضعفاء وقال أنهم كانوا خائفين من أعراب أولاد نصر بوعكاز، ووجدوا عندهم سمنا فاشترى الناس منها بعض شيء[87].

7- أوقات المرور بمجال أولاد نايل: إذا كانت حركة هجرة قبائل البدو لانتجاع مواطن الكلأ والماء وحركة مرور القوافل الصحراوية التجارية مرتبطة بالرزنامة الرومانية وحركة الشمس والفصول، فإن قافلة الحج مرتبطة بالتقويم القمري ذلك لارتباطها بشعيرة الحج وعدم ارتباطها بالنشاط الزراعي.

لذا كانت قافلة الركب الفاسي غالبا ما تنطلق يوم 27 أو 28 جمادى الثانية ويستهل عليها شهر رجب بمدينة تازا أو فوقها[88]، أما توقيت مرورها بمنطقة أولاد نايل فيكون غالبا بين 14 إلى 23 رجب في رحلة الذهاب، أما عند العودة فيكون ما بين أواخر رجب إلى منتصف شوال، وسبب تذبذب مواقيت مرور الركب في رحلة العودة يعود أساسا إلى

إسراعه، وذلك راجع لاستحباب التعجيل في العودة للأهل كما في كتب الفقه لآداب المسافر، بالإضافة إلى تخفف أغلب الحجاج من السلع والبضائع التي غالبا ما يسوّقونها قبل وصولهم إلى الحجاز، بالإضافة إلى أن بعض شيوخ الركب كانوا يقطعون مرحلتين في مرحلة قصدا للسرعة في السير[89].

وفي الجدول المدرج بآخر هذه الدراسة توضيح لتوقيت مرور قافلة الحجاج على منطقة أولاد نايل في ذهابها وإيابها مستخلصة من بعض الرحلات التي كان يعتني أصحابها بتدوين تاريخ نزولهم بمختلف المواضع.

8- السلع المتبادلة بأسواق أولاد نايل: كانت أسواق أولاد نايل تعمل على توفير الحاجيات الضرورية للأركاب الحجية وعلى رأسها: العلف والشعير والتبن لدوابهم، ثم الزاد والمؤونة للحجاج، فعملوا على توفير السمن والألبان واللحوم كما كانوا يعرضون الإبل والأغنام والماعز والدجاج والحمام بالإضافة لمختلف الفواكه التي تجود بها أرضهم وتحتوي عليها بساتينهم. ونلاحظ أن أهم ما كانت توفره أسواق أولاد نايل يتمثل في الإبل لاشتهار المنطقة بتربيته وكذلك نظرا لاضطرار الحجاج إلى تغيير رواحلهم كلما أصابها العياء أو أصيبت بالأمراض أو هلكت.

وكان الحجاج بدورهم يقايضون هذه المواد الضرورية لرحلتهم بمنتوجات كمالية للزينة والتجميل أو الطبخ غالبا، وكانوا يسمونها "العطرية" وهي تشتمل على الكحل والشب والكبريت والقرنفل والسواك والجاوي، بالإضافة إلى المشط والمرآة والإبر والكاغد والجناوي الصغار (السكاكين) والألواح والنعال، غير أن أهم ما كان يتجهز به الركب المغربي من عروض يتمثل في الجلود المدبوغة الحمراء والصفراء المعروفة باسم "الفيلالي" لكثرة إنتاجه بمدينة تافيلالت[90]، ويعقب الهشتوكي في رحلته على العياشي في رحلته الحجية الصغرى حين تحدث عن أهم السلع النافقة في طريقهم مع الأعراب فيقول أن: "من جملة ما يطلبه أهل القرى منذ خروج الركب من سجلماسة إلى طرابلس البارود والرصاص والكبريت، وأردية صغار بالية من الكتان وثياب مقطعة حمر"، ويضيف أنه في حجته هذه رأى من أخذ قطعا من ثياب باليات حمر فكفاه ذلك من بذل الدراهم في سمن وتمر وعلف ولحم[91]، يذكر السجلماسي أن هناك من الحجاج من كان يحمل التبغ، أما اليوسي فيذكر أن منهم من كان يحمل الثياب والشرك (نوع من القلائد أو شباك الصيد) وقال أنها أكثر ما يطلبونه.

أما في طريق العودة فتتمثل أهم السلع التي يأتي بها الحجاج في الزباد (مسك الزباد) والمسك وأقمشة مصنوعة في الهند والمسابح بالإضافة إلى مياه زمزم التي غالبا ما تقدم كهدية[92]، وتضيف لوسات فلنزي أن الحجاج المغاربة كانوا يقايضون في البقاع المقدسة سلعهم بالأقمشة الموصلية والحريرية الشرقية والأنسجة الفارسية الثمينة والعنبر والتوابل كما يتزودون في القاهرة بالحرير الخام والقطن[93].

9- الأسعار والنقود المتداولة: ترى الباحثة لوسات فلنزي أن حركة تجارة القوافل في بلاد المغرب عامة كانت رديئة خاصة من جهة رداءة الأساليب التجارية المستعملة، نظرا لعدم شيوع التعامل بالأوراق النقدية وقلة استخدام العملة كوسيلة دفع[94]، ولعل مما يؤكد هذا تعطل السوق الموسمي في حج 1211هـ- 1797م مع أولاد نايل بسبب عدم وجود عملة الحكومة العثمانية.

ويقول كاريت أن معظم المعاملات في أفريقيا كانت تتم بالمقايضة، إلا أنه يقول إن النقود التونسية كانت هي الأكثر رواجا، بالإضافة إلى قطع صغيرة تسمى "البسيطة" التي تستعمل في واحة الزيبان وحوض الحضنة[95] وفي نفس السياق يحدثنا العياشي عن عملة نقدية تدعى الزياني ينحصر نطاق استعمالها بين فجيج وبوسمغون، أما العملة الأكثر أهمية فيسميها "الريال" ويقول أنه نافق في كل بلدة[96]

10- علاقة السلطة بالأسواق الموسمية: من خلال كتب الرحلات الحجازية لا نلمس أي وجود للسلطة التركية العثمانية بالمنطقة، والتي يتوقف نفوذها عند مدينة الأغواط كما يحدثنا الناصري، ثم يستأنف هذا النفوذ مرة أخرى ابتداء من واد سيدي خالد حسب الوزير الإسحاقي[97]، مما يجعل منطقة أولاد نايل الممتدة بين الأغواط وسيدي خالد منطقة فراغ سياسي، إلا إذا استثنينا إشارة لليفرني (ت1154هـ- 1742م) وأبي راس الناصري اللذان يقولان إن مملكة المولى إسماعيل العلوي(1054- 1139هـ/1645-1727م) امتدت من جهة المشرق إلى قرب بلاد بسكرة[98]، وهو تحديدٌ جزافي لا تدعمه أي حقائق على أرض الواقع، ولا يصمد أمام الشواهد والقرائن التاريخية التي تثبت ارتباط منطقة شمال الصحراء اقتصاديا وسياسيا بسلطة البايلك خاصة خلال هذه الفترة.

ويتحدث الإسحاقي في رحلته عن التقاء ركبهم في منطقة عبد المجيد بشخصية سياسية يدعوها بالأمير بوزيد العباسي، ويقول أن أهل هذه النواحي يلقبونه بالسلطان وينصرونه، وأن هذا الأخير ينتمي لبني عباس وهم فرع من ذرية العباس بن عبد المطلب،

جمعته بالمولى إسماعيل العلوي مراسلات ومحبة سببها "أنفته من حكام الترك" وأن يدين لهم، وقد استقبله الركب واحتفل بقدومه وأعدوا له كسوة ومراكب وبارود، وبات في الركب وأضافه شيخ الركب إلى خيمته وأعطته أم السلطان خناثة كسوة، وقالوا له بـ"أن السلطان مولاي عبد الله لا علم له بوجودكم بهذه البلاد الجريدية والا لكان كتب لكم بتجديد عهد والده معك[99]"، مما يوحي بوجود زعمات محلية عشائرية كانت تبسط نفوذها في فترات ضعف وانكماش السلطة المركزية.

وتؤكد مصادر تاريخ الجزائر الحديث أن قبيلة أولاد نايل كانت خاضعة فعليا لإدارة بايلك التيطري، الذي كانت تنتجع فيه، وتقصد أسواقه التلية من أجل اكتيال القمح، مقابل ضريبة سنوية تعطى من إبلهم وأغنامهم تدعى "ضريبة الحَصَّة"، إلا أن هذه القبيلة تعرف بكونها أكثر القبائل الجنوبية الرحالة تمردا، لذلك كان البايلك يجرد لها الحملة تلو الحملة، خاصة بعد منتصف القرن 18م، ومن أشهر هذه الحملات:

حملة الباي عثمان باي بايلك التيطري سنة1179هـ- 1766م ومقتله من طرف عشيرة أولاد سيدي أحمد، ولم يجرؤ بعدها أحد من البايات على مهاجمتهم، إلى أن نظم الباي صفطة حملة ثانية سنة1185هـ- 1772م، إلا أنه قتل فيها هو الآخر رفقة عدد من الجنود وفرسان المخزن[100]، ثم نظم صالح باي بايلك قسنطينة ضدهم حملة انتصر فيها عليهم في معركة مالح أومسيف سنة 1186هـ- 1773م، فأعلنوا خضوعهم، وأعطاهم الباي الأمان[101]، ثم تلتها حملة الباي مصطفى الوزناجي (1188-1208هـ/1775-1794م) ضد قبيلة أولاد سيدهم أحد فروع أولاد نايل، وبعد تمكنه من إخضاعها أكمل إخضاع كل فروع القبيلة الأخرى، ثم توالت عليها الحملات من قبل كل من الباي حسن سنة1215هـ- 1801م، والباي إبراهيم سنة 1229هـ- 1814م والباي إبراهيم القسنطيني سنة 1232هـ- 1817م وقد فشلت كل هذه الحملات في إخضاع القبيلة، حتى تدخل باي قسنطينة امحمد منماني سنة 1239هـ- 1824م وتمكن من الانتصار عليها معركة واد اللحم[102].

وفي عهد الباي مصطفى بومزراق (1234- 1246هـ/1819-1830) _آخر بايات التيطري_ وجه حملة ضد أولاد نايل وأولاد شايب مستعينا بقائد الجيش يحي آغا وقد نجحا في إخضاعهما نهائيا، وإجبارهما على دفع ضرائبها لآغا الجزائر شخصيا، وتم نقلهم من التبعية لبايلك التيطري ليصبحوا رعايا آغا العرب في دار السلطان مباشرة، والظاهر أن القبيلة

ظلت على عصيانها بدليل خروج حملة سنة1240هـ- 1825م إلى قبيلة التيطري التي اتهما الباي بومزراق ببيع الحبوب لأولاد نايل[103].

لقد كانت سائر هذه الحملات على قبيلة أولاد نايل _رغم فشل معظمها_ حملات تأديبية، الغرض الأساسي منها هو العودة بالغنائم أو تحصيل الضرائب المتراكمة، ولكن دون أن تخلق سلطة فعلية تعمل على تنظيم هذا النسيج القبلي ومرافقته،وهذا ما أدى إلى تسلط الأعراب الذين امتهن بعضهم سرقة واختطاف الأركاب الحجية، مما أثر على إقامة أسواق منتظمة وكبيرة تقدم عروضا متنوعة للحجاج وتدر أموالا على خزينة الدولة، وكذلك شيوع الاقتتال القبلي والفتن الداخلية، كان يدفع بالأركاب إلى اتخاذ طرق ومسالك لا تعبر مناطق الاضطرابات، مما كان يفوت عليهم فرصة تسويق منتوجاتهم.

ورغم هذا فإننا من خلال رحلة الناصري الصغرى سنة1212هـ- 1797م، نلمس أن تلك الحملات كان لها بعض الأثر في تطور نمط المعاملات التجارية لقبيلة أولاد نايل والتي كانت قائمة سابقا على المقايضة إلى اعتماد سكة الجزائر وهي الريال، الأمر الذي يعكس بطبيعة الحال التبعية السياسية والاقتصادية لقبيلة أولاد نايل لإيالة الجزائر.

11- خصائص الأسواق الموسمية بأولاد نايل (تحليل النتائج): يمكن أن نميز في منطقة أولاد نايل بين نوعين من الأسواق الموسمية:

أ- أسواق ثابتة قارَّة: وهي أسواق القرى التي يمر بها ركب الحجيج، وتتمثل خاصة في أسواق قريتي دمد وعمورة.

ب- أسواق ظرفية: وهي الأسواق التي تقام مع الأعراب في أماكن متفرقة، وتتميز بعدم ثباتها في مكان واحد، إذ بإمكان الأعراب أن يتسوقوا مع الركب وهم مرتحلون، كما أنها تتميز بتذبذبها، فقد يتصادف الركب مع هؤلاء الأعراب في موسم ما ولا يتصادفون معهم في مواسم أخرى، وذلك لارتباط نمط معيشة الأعراب والبدو بالتنقل والارتحال. ومن هذه الأسواق: أسواق رحمان وأولاد مليك. إلخ

- الأسواق الواقعة على طريق ركب الحج بمنطقة أولاد نايل مرتبطة بمدى جاهزية السكان لتوفير البضائع للحجاج، مما يعني أن المواسم المجدبة والتي تنزل بها الجوائح والفتن تصبح القرى غير قادرة على التسويق مع الحجيج.

- العامل الأهم في عمارة الأسواق الموسمية أو تعطيلها رغبة الحجيج وحاجتهم والتي يمثلها شيخ الركب الذي يأتمر الحجاج بأوامره ونواهيه، فهو من يسمح بالتسوق أو يمنعه حسب المعطيات والظروف الطارئة.

- تعقد هذه الأسوق عند ذهاب قافلة الحج وبعد عودتها، وذلك مع قافلة الركب الفاسي ومع قافلة الركب السجلماسي وكثيرا ما يجتمعان فيذهبان معا أو يلتقيان بالقافلتين العائدتين (الركب المُغَرِّب)، مما يساهم عادة في ارتفاع نسبة المبادلات التجارية.

- ارتباط الأسواق بالتقويم القمري ما يعني أن الركب قد يمر على السوق في أي فصل من فصول السنة، مما يجعل هذه الأسواق ضعيفة نوعا ما في الفصول التي تنتجع فيها القبائل مناطق أخرى خاصة في فصل الصيف، أو خلال خروج القوافل لجلب الميرة من توات أو من المناطق التلية.

- انتجاع القبائل خارج مجال مرور ركب الحج أو تعرض أراضيهم للجدب ومختلف الجوائح، كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى كساد سلع الحجاج، كما يذكر السجلماسي في رحلته[104].

- كانت الأركاب كثيرا ما تنحرف عن بعض أسواق الأعراب إما خوفا من التهديدات التي يشيعها البعض بوجود السرقة، أو بسبب الاستعجال وتعويض التأخر الذي يقع فيه الركب من حين لآخر.

- كان بعض الحجاج يتورع عن البيع والشراء مع الأعراب مخافة أن يكون المبيع مما نهب، وهذا ما يذكره ابن عابد الفاسي في رحلته، إذ يتحدث عن قرص خبز أعطاه له بعض قطاع الطرق، وكان يرى أنه لا يجوز أكله إلا عند الضرورة، فإذا انتفت فإنه يعطيه لمستحقيه من الفقراء المحتاجين، ويقول أنه عندما كان بمفازة عبد المجيد التقى بجماعة من الأعراب وأظهروا له كتابا فيه إذا كان أحد من الناس مع البدو واضطروا إلى البيع والشراء معهم فهل يعد في ذلك الضرورات الحال "فقالوا لي في ذلك الكتاب تجوز المعاملة معهم للضرورة الداعية لذلك والمشقة تجلب التيسير"[105].

خاتمة: حاولنا من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب من جوانب الاقتصاد الريفي في منطقة أولاد نايل المتمثلة في الأسواق الموسمية المرتبطة بشعيرة الحج، والتي كانت تعقد على طول الخط الأفقي للأركاب والقوافل التجارية الذي يربط مختلف مناطق المغرب بالشرق الإسلامي، والذي يعتبر خطا تجاريا بالغ الأهمية بسبب انتظامه ونشاطه الكبير إذ تقطعه هذه الأركاب بشكل دوري سنويا في ذهابها وإيابها، ولم يتوقف إلا بعد توغل الاحتلال

الفرنسي في العمق الجزائري بعد منتصف القرن 19م، وقد كان من أهم أسباب استمراره وجود ظروف وعوامل مساعدة تتمثل بالدرجة الأولى في وجود سلسلة من الأسواق يقيمها سكان الأرياف والبوادي تحتوي على أهم احتياجات الركب في رحلته والمتمثلة في المواد الغذائية للحجاج، والعلف والشعير للرواحل والدواب، كل ذلك وبأقل كلفة، نظرا لشيوع نمط المقايضة في المبادلات التجارية، حيث يشتري الحجاج ضرورياتهم بمواد بسيطة من الكماليات المتمثلة في بعض أدوات الزينة والتوابل، الأمر الذي ساهم في تذليل صعوبات رحلة الحج، وجعلها متاحة لسائر الشرائح المجتمعية، أما استفادة سكان القرى والمدن من هذه القوافل الحجية فقد تمثل في تسويق منتجاتهم المحلية وتصريفها للحجاج مقابل تزودهم بالموارد والمنتجات التي كانت تفتقر لها منطقتهم، والتي كانوا يعتبرونها نفيسة ونادرة وضرورية لنمط معيشتهم وأسلوب حياتهم، ولم يكن لهم غرض في الثراء، لا من خلال تنويع العروض التجارية والاجتهاد في توفير ما هو أفضل، ولا باعتماد نظام مالي مبني على العملة النقدية، إلا في أواخر العهد العثماني حين اشتدت وطأة السلطة على المناطق الداخلية بعد تراجع عائدات البحر، الأمر الذي يدل على عدم وجود التفاعل الإيجابي مع هذا النوع من القوافل، والذي كان ينظر إليه بنوع من الهيبة والتقديس، ولا يُقصده البعض إلا لالتماس البركة والدعاء منه.

صاحب الرحلة	الذهاب	الإياب
عبد الله بن محمد العياشي	/	**دمد**: الخميس 13 رمضان 1074 هـ (10 أفريل 1664م)
محمد العياشي بن الحسن اليوسي	**المكيد**: الأحد 20 رجب 1101 هـ (30 أفريل 1690م)	**سيدي خالد**: 27 رمضان 1102 هـ (24 جوان 1691م) **المكيد**: الخميس 1 شوال 1102 هـ (28 جوان 1691م)
أحمد ابن ناصر الدرعي	**العسافية**: الجمعة 15 رجب 1121 هـ (20 سبتمبر 1709م) **سيدي خالد**: الأربعاء 20 رجب 1121 هـ(25 سبتمبر 1709م)	/
ابن الطيب الشرقي	/	**دمد**: الأربعاء 16 شوال 1140 هـ (25 ماي 1728م)
أبو محمد الإسحاقي	**الحميضة**: 14 رجب 1143 (22 جانفي	/

	1731م)	
محمد بن عبد السلام الناصري	**فج**: الجمعة 23 رجب 1196 (5 جويلية 1782م)	**سيدي خالد**: 27 رجب 1197 (27 جوان 1783م) **الأغواط**: 1 شعبان 1197 (1 جويلية 1783م
إبراهيم المصعبي	**فج**: الجمعة 23 رجب 1196 (5 جويلية 1782م)	/

جدول يوضح توقيت مرور الأركاب الحجية على منطقة أولاد نايل في ذهابها وعودتها

الهوامش:

1- محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، تحقيق: المهدي الغالي، ط 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2013م، ج1، ص 99.----2- محمد بن أحمد الحضيكي، الرحلة الحجازية، تحقيق: عبد العالي لمدبر، ط 1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 2011م، ص81.----3- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص 98. محمد بن أحمد الحضيكي، المصدر السابق، ص 89.----4- عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، تحقيق عبد الله حمادي الإدريسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص64. ويذكر المحقق في الهامش أنه وجد في بعض النسخ "سبع مراحل"، بدل ستة.

5- يتحدث قائد مصلحة الهندسة وعضو لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر إرنست كاريت عن ذهنية المسافرين عبر المسالك الجنوبية في الجزائر، والتي غالبا ما تدفعهم إلى الانحراف عن الطرق المباشرة بسبب الخوف من العطش؛ مما يجعلهم يسيرون في مسالك ملتوية من قرية إلى قرية ومن بئر إلى بئر، بالإضافة إلى العداوات التي تقسم قبائل الصحراء مما يجعل بعض الطرق خطرة على المسافرين، بالإضافة إلى عامل اقتصادي يتمثل في اتباع خط المصلحة التجارية دون الاكتراث للطريق الأقصر مما يسبب غالبا تطويلا للطريق. ينظر: إ. كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1841، 1842، دراسة الطرق التي يسلكها العرب في الجزء الجنوبي من الجزائر وإيالة تونس، ترجمة: حمزة الأمين يحياوي، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2016م، ص 356.----6- محمد المنوني، ركب الحاج المغربي، ط1، مطبعة المخزن، تطوان، 1953م، ص88.----7- نفسه، ص 94. يلاحظ أنه كتب (لداد) بدل (لدماد) كما هو مصحح أعلاه، وللمؤرخ محمد المنوني عذره وقد استسمح القارئ عما عسى أن يجده في القصيدة من كبوات.

8- أحمد بن أبي محلي، إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط رقم 431 أدب، دار الكتب المصرية القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 395. حسب الترقيم الذي اعتمده الباحث عبد الله حمادي الإدريسي الذي سلمني مشكورا نسخة المخطوط.----9- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط 1، دار السويدي، أبو ظبي (الإمارات)، 2006م، صص544-546.----10- محمد العياشي بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، تحقيق أحمد الباهي، ط 1، المجمع التونسي للعلوم والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2018م، صص77-78.

11- أحمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، تحقيق: عبد الحفيظ ملوكي، ط 1، دار السويدي، أبو ظبي الإمارات، 2011، ص ص 133-134 وص ص 713-718.----12- ابن الطيب الشرقي، هذه رحلة السيد أبو عبد الله الشهير بالطيب، مخطوطة مكتبة جامعة لايبزيك رقم 746، الورقة 33-34 والورقة 131-132.----13- أبو محمد الإسحاقي، رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية، تحقيق: محمد الأندلسي، ط 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2017م، ج1 صص276-280.----14- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، صص207-209.----15- إبراهيم المصعبي، رحلة المصعبي (رحلات إباضية)، تحقيق: يحيى بن بهون حاج امحمد، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 68. وكذلك: محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1 ص 206.

16- محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الصغرى، تحقيق محسن أخريف، ط 1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2019م، صص147. 149. ----17- إ. كاريت، المصدر السابق، ص 185 ص.191

18- أبو محمد الإسحاقي، المصدر السابق، ج1، ص 276. إبراهيم المصعبي، المصدر السابق، ص 68. عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، المصدر السابق، ج2، ص64. أبو العباس الهلالي السجلماسي، التوجه لبيت الله الحرام، تحقيق: محمد بوزيان بنعلي، ط 1، مطبعة الجسور، وجدة، 2012م، ص 152.----19- محمد المختار السوسي، المعسول في الإلغيين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2014م، ج13، ص 321. محمد المنوني، المرجع السابق، ص88.

20- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج2، ص 546.----21- عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي، مخطوطات المكتبة الأزهرية، رقم: 307010، ورقة 223-224. عبد الله بن محمد العياشي، ماء الموائد، الرحلة العياشية، مخطوطات مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء، رقم: 285، ص 562. عبد الله بن محمد العياشي، ماء الموائد، الطبعة الحجرية، فاس، 1316هـ ج2، ص 417.-
---22- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 133. محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 208. ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة 33.----23- محمد المختار السوسي، المرجع السابق، ج13، ص 321.----24- أبو محمد الإسحاقي، المصدر السابق، ج1، ص276-277.----25- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 133.----26- نفسه، ص 134. محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 208، ابن الطيب الشرقي، ورقة 34.----27- محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الصغرى، المصدر السابق، ص 149.----28- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 715.

29- ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة 132. أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 153.محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص208.----30- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 133 و716.----31- محمد العياشي بن الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص 188.----32- نفسه، ص77/محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ص207/أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص133.----33- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، 208.----34- محمد العياشي بن الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص77/محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1 ص208/ أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص133/ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة: 132.

35- محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الصغرى، المصدر السابق، ص 148.----36- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 133. محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، 208.----37- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج2 ص 545.----38- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 713.----39- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1 ص205، 206، 209 .----40- نفسه، ج1 ص 206، 209، محمد العياشي بن الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص 76 .----41- نفسه، ج1، ص 207، إبراهيم المصعبي، المصدر السابق، ص 68.----42- محمد العياشي بن الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص77.

43- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، 717-718. محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 207.

44- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، 208، إبراهيم المصعبي، المصدر السابق، ص68/ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة33 .----45- محمد اليوسي، المصدر السابق، ص78/محمد الناصري، المصدر السابق، ج1، ص208.----46- نفسه.----47- نفسه، ص78.----48- أحمد الدرعي، المصدر السابق، ص715.----49- نفسه، ص714.----50- أبو محمد الإسحاقي، المصدر السابق، ج1، ص 276.----
51- محمد المختار السوسي، المصدر السابق، ج13 ص88/أحمد الدرعي، المصدر السابق، ص133-715-716.----52- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1ص208/أبو العباس الهلالي، المصدر السابق، ص153/ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة 132.

53- عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، المصدر السابق، ص64.----54- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 208.----55- محمد اليوسي، المصدر السابق، ص78.----56- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 134. محمد الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 209.----57- ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، الورقة 34.----58- إبراهيم المصعبي، المصدر السابق، ص68. تنبيه: المحقق يكتب عجز هذا البيت: "فبعد المجيء علقم بفؤاديا" وهذا تصحيف صوابه ما أثبتناه أعلاه.----59- أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 153. أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 712-713. محمد الناصري، المصدر السابق، ج1، 208.---
--60- نفسه، ج1 ص209.----61- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 713. أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 153.
62- محمد اليوسي، المصدر السابق، ص78/محمد الناصري، المصدر السابق، ج2 ص902/أحمد الدرعي، المصدر السابق، ص715.----63- نفسه، ص718.----64- عبد الله العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، ص 64.----65- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 718، ص 715، ص 133.----66- أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص153.

67- من المؤسف أن تجد العياشي يصف أهل دمد بأنهم قوم سوء، واليوسي يقول أنهم يسرقون النوم من الأجفان إن كان لهم به إمكان، أما الهلالي السجلماسي فيقول عنهم أنهم يختلسون القدور وهي تغلي، وردد غيرهم مثل هذه الأوصاف على أهل عمورة وأولاد نصر بوعكاز وأولاد جلال وغيرهم، وهلم جرا من الصور الكاريكاتورية التي تعاظمت في مخيال الكثير من مرتادي الحج على الطريق البري.----68- الناصري، المصدر السابق، ج1، ص79.----69- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 717.

70- نفسه، ص 716.----71- يوسف بن عابد الفاسي، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص 86.----72- عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص 546.----73- محمد العياشي بن الحسن اليوسي، ص187.----74- يكتبها اليوسي "المكيد" كعادة المغاربة في رسم القاف المعقودة، محمد العياشي بن الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص 77.----75- عبد الله بن محمد العياشي، رحلة العياشي الصغرى، المصدر السابق، ص 64.----76- أبو محمد

الإسحاقي، المصدر السابق، ص 277.----77- أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 152.----78- أحمد الدرعي، المصدر السابق، ص 716.----79- ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة: 132.----80- محمد بن عبد السلام الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 208. أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 134 وص 715.----81- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ص 546.----82- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 714، ص 718.

83- أحمد بن ناصر الدرعي، المصدر السابق، ص 713. غير أن المحقق صحف أهل الزعارة وجعلها أهل الدعارة! والزعارة شراسة الخلق. ينظر الرحلة الناصرية، الطبعة الحجرية، سنة 1902م، ص 182.----84- أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 153-154.----85- محمد الناصري، الرحلة الناصرية الصغرى، ص 148.----86- نفسه، ص 154-155.----87- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج2، ص 545.----88- الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق: محمد البوزيدي، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء ج2 ص498.----89- ابن الطيب الشرقي، المصدر السابق، ورقة 19.----90- عبد الله العياشي، رحلة العياشي الحجية الصغرى، المصدر السابق، ص 47. محمد الحضيكي، المصدر السابق، ص81.----91- أحمد الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط المغرب، ص 94.----92- إ. كاريت، الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840، 1841، 1842، أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية، ترجمة: حمزة الأمين يحياوي، ط 1، دار المعرفة، الجزائر، 2016م، ج6، ص 154.

93- لوسات فلتزي، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830، ترجمة: حمادي الساحلي، ط 1، سراس للنشر، تونس، 1994م، ص 75.----94- نفسه، ص 74.----95- إ. كاريت، المرجع السابق، ص177.----96 - عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشي الحجية الصغرى، المصدر السابق، ص 60.----97- أبو محمد الإسحاقي، المصدر السابق، ص 288.

98- محمد الصغير اليفرني، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1995، ص 65. وهو ما يؤيده أبو رأس الناصري في كتابه الحلل السندسية بقوله: "وتمهدت له البلاد وأطاعته العباد حتى استولى إلى تخوم السودان وبلغ قرب الصعيد في المشرق، وإلى الزاب" ينظر: أبو راس الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم: 4619، ص 90.----99- أبو محمد الإسحاقي، المصدر السابق، ج1، ص 277.----100- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، دار هومة، الجزائر، ص 167.----101- أوجان فايسات، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية، ترجمة: أحمد سيساوي، ط 1، دار كنوز يوغرطة، قسنطينة، 2019م، ص 149.----102- نفسه، ص 278.

103- le baron Aucapitaine et Henri Federmann, «Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri», Revue Africaine, v 9, 1865, p 280.

104- أبو العباس الهلالي السجلماسي، المصدر السابق، ص 159.----105- ابن عابد الفاسي، المصدر السابق، ص 88.